الفصل الثالث

الفرد المسلم

اذا كان علم الاجتماع لا يهتم ببناء الجسم الانسانى ، أو بوظائف اعضائه ، او بالعمليات العقلية فى حد ذاتها .. فانه يهتم اساسا بما يحدث من تفاعل عندما يقابل انسان انسانا آخر ، او عندما يشكل الناس جموعا مختلفة ، او عندما يتعاونون ويتنافسون ، أو يتحكم بعضهم فى البعض الآخر ، أو يحاكى أحدهم الآخرين ويقلدهم ، او يطورون الثقافة أو يقوضونها .. فان وحدة الدراسة فى علم الاجتماع ليست على الاطلاق فردا واحدا ، ولكنها تتمثل على الأقل فى فردين يكونان معا علاقة بشكل ما .

وعلى ذلك فاننا فى هذا الفصل والفصول التالية ، سوف نتناول بالدراسة الفرد والجماعة والمجتمعات بمختلف اشكالها ومستوياتها ، وما يدور بين كل هذه المتغيرات وبين البيئة الاجتماعية والثقافية والطبيعية ، وكذلك التفاعل المتبادل بين الفرد والآخر ، سواء اكان هذا التفاعل ايجابيا او سلبيا .

* * *

الفرد فى اطار المجتمع

« الفرد » هو وحدة الدراسة السوسيولوجية ، وهذا الفرد لا تنطبق عليه الصفة الاجتماعية اذا لم يعش فى مجتمع .. فمن الضرورى ان يعيش الانسان فى مجتمع استجابة لميله الطبيعى للحياة فى المجتمع ، كى يشبع حاجته الى الانتماء ، على اعتبار أن الانسان المنعزل فى الكون مجرد فرض غير قائم .. فالانسان بمقتضى حاجاته

ودوافعه المتعددة ـ ومن أهمها الحاجة الى الانجاب والانسال لحفظ النوع والحاجة الى الاقتناء او الاستحواذ ـ يعمل على أن ينتمى الى جماعة حتى يحافظ على البقاء ٠٠ ومن هنا فهو يبحث دائما عن المال والولد لقوله تعالى : « **أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا** » ٠ **(مريم : ٧٧)**

واذا كان الانسان يولد فردا ويعود الى ربه فردا ، لقوله تعالى : « **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون** » ٠ (الأنعام : ٩٤)

غير أن هذا الانسان الفرد يعيش طوال حياته من المهد الى اللحد فى جماعات صغيرة ، فاذا انتهى أجله فانه أمام الله يوم الحساب فردا ، لقوله تعالى : « **ونرثه ما يقول ويأتينا فردا** » ٠ (مريم : ٨٠)

وكذلك زكريا لم يستطع أن يعيش فى المجتمع فردا منفردا ، ومن ثم دعا ربه الا يذره فردا ، لقوله تعالى : « **وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ٠ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين** » ٠ (الأنبياء : ٨٩ ـ ٩٠)

ان الانسان لا يستطيع أن يعيش الا فى مجتمع من بنى جنسه يتبادل الأفكار والعلاقات والمعاملات مع أفراده ٠٠ واذا كانت هناك حالات استثنائية ينعزل فيها البعض عن المجتمع مثل : الزهاد والمتصوفين فى بعض الفرق الدينية ، ومثل بعض الباحثين الذين يكرسون حياتهم للكشوف العلمية ، وكذا الحالات التى يعزل فيها البعض عن المجتمع عقابا لهم عما جنته أيديهم كالمعتقلين ٠٠ فان هذه الحالات الانعزالية ليست دائمة ، وانما تنتهى بانتهاء الظروف التى أدت اليها ٠ وبالرغم من انعزال أو عزل هؤلاء واولئك ، فان صلاتهم بالمجتمع ـ وان كانت

من طرف واحد وهو المجتمع ـ لا تنقطع كلية ، على أساس أن كلا منهم يحتفظ بالمجتمع فى داخل كيانه الاجتماعى ·· فهو يفكر ويأكل ويشرب ويتبادل العلاقات مع جيرانه واقربائه وفقا للنشأة الاجتماعية التى نشأه المجتمع ورباه ورعاه على أساسها ·· ان الفرد ـ بالمعنى الاجتماعى ـ هو الانسان بما له من حقوق وما عليه من واجبات فى المجتمع ، ويكون الفرد ـ داخل المجتمع ـ منعزلا أو منطويا أو عضوا فى جماعات متنوعة على المستوى المحلى أو القومى أو الدولى ·

ومن هنا يمكن القول بأن الفرد لا يتصور وجوده الا فى مجتمع ·· ولذلك يقال ان وجود المجتمع سابق على وجود الفرد ، بمعنى أنه يولد فى مجتمع ، وبالتحديد فى أسرة ـ أى جماعة ـ ولهذا يقال بـ « أسبقية الجماعة » · واننا نعرف أن الفرد يولد وهو فى حالة ضعف كامل ـ لا حول له ولا قوة ـ وانه بفضل الجماعة (الأسرة) يولد من جديد فى شكل حضارى بعد ولادته عضويا فى المرة الأولى · ومن هنا فان الفرد لا يستغنى عن المجتمع الصغير الذى يعيش فيه ـ أى الأسرة ـ فهو الذى يكسو له جسمه ويشبع له حاجاته البيولوجية عند ولادته ، ثم يشرع بعد ذلك ـ من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ـ فى تنمية عقله ومداركه عن طريق التربية والتعليم حتى يصل الى مستوى النضج ·· بمعنى أن الفرد يولد وعقله صفحة بيضاء ، ثم يتولى المجتمع كتابة تراثه وقيمه ومبادئه ومعاييره ، وكذلك مظاهر حضارته الروحية والاجتماعية والعلمية على تلك الصفحة · وبالتالى فان الأسرة وكل المؤسسات الثقافية والتربوية والاجتماعية فى المجتمع هى التى ترفع الفرد الى المستوى الحضارى اللائق به فى المجتمع ، وتشعره بأن المجتمع يعلو عليه وانه صاحب الفضل عليه(١) ·

* * *

---

(١) زيدان عبد الباقى : علم الاجتماع الاسلامى · القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٨٤ ، ص ٧١ ـ ٧٣

● مفهوم الفردية (٢) :

عندما نضفى معنى الفردية على الانسان نجد من الضرورى ان نستخدم هذا المصطلح بمفهومه السوسيولوجى .. فاننا نقول : ان الكائن الاجتماعى تشتد فرديته اذا لم يكن سلوكه مجرد محاكاة او نتيجة تعرضه للايحاء ، واذا لم يكن عبدا بمعنى الكلمة للعادة الجمعية او لعاداته الفردية ، وعندما لا تكون استجاباته للبيئة الاجتماعية حدثت بطريقة اوتوماتيكية .. فالفردية بالمعنى السوسيولوجى هى تلك الصفة التى تكشف عضو الجماعة وتبرزه كأكثر من مجرد عضو فيها ، بحيث يشعر بنفسه ويرى فيها مركزا للنشاط والاستجابة للمؤثرات الخارجية ، معبرا عن طبيعته الخاصة . وهذا التصور يكمن وراء النصيحة التى درجنا على أن نسديها للآخرين أو الى انفسنا حينما نقول : « احتفظ بشخصيتك » .. فالاحتفاظ بالشخصية هنا لا يعنى مجرد **الأصالة** فى التصرف ، كما انه لا يعنى شذوذ الطبع . وقد لوحظ انه يمكن للفرد ذى الشخصية المتكاملة المستقلة ان يعبر تعبيرا وافيا عن صفات بلاده او زمانه ، وانه ليفعل ذلك ، ليس لأنه سريع المحاكاة او يتبع ايحاء الغير ، ولكن بسبب حساسيته لمقتضيات العصر .

حقا ان اعضاء الزمرة اذا كانوا جميعا اقوياء الفردية دب بينهم الخلاف ، وأدى ذلك الى أن يعبروا عن انفسهم بطرق مختلفة . ولكن الخاصة المميزة للفردية ليست هى درجة الانحراف عن باقى الاقران او الزملاء .. وانما هى **كيف يتصرف الفرد معتمدا على** نفسه مع قيام العلاقات بينه وبين الآخرين ، وكيف يتفهم مطالب الآخرين منه . وعندما يسلك صاحب الشخصية المستقلة سلوكا معينا ـ على الأقل فى الأحوال الضرورية ـ ملتقيا مع الآخرين فى نفس الاتجاه السلوكى ، **لا يقال** انه فعل ذلك لمجرد ان الآخرين فعلوه ، ولكنه يقر هذا السلوك .

---

(٢) ر . ماكيفر ، وشارلز بيج (ترجمة على احمد عيسى) : **المجتمع** (جـ ١) **القاهرة** : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ ، ص ١٠٤ ـ ١١٥

وعندما يستجيب لرأى السلطة ـ الا اذا ارغم على ذلك ـ فانه يتبع رأى أصحاب النفوذ والسلطة لأنه من ناحيته مقتنع بصواب ما يفعل ولا يتبعهم لمجرد كونهم أصحاب سلطة ونفوذ · وهو لا يقبل آراء الآخرين دون تمحيص أو يأخذ فى ترديدها ، فان لديه بعض الاستقلال فى الرأى ، وبعض المبادأة ، وشيئا من التمييز ، وتعتبر الحدة التى يفصح بها عن هذه الصفات هى نفسها درجة فردية وشخصية ·

* * *

● **مبدأ التوافق بين الفردية والمجتمع :**

من المسلم به أن الفردية ـ كما عرفناها بمدلولها السوسيولوجى ـ أقل نموا فى المجتمعات البدائية ـ بسبب العادات الجمعية والمحرمات الصارمة ـ منها فى المجتمعات المنظمة المتطورة · ويمكن القول بحق ان فى المجتمعات الأكثر تعقيدا والأرقى تنظيما تمس الحاجة الى الافصاح عن الفردية ، كما تتهيأ أفضل الفرص لتحقيق ذلك ·

وهناك أدلة كثيرة تسوغ قولنا السابق ·· انظر مثلا مدى توقف ايقاظ الفردية على مرونة اللغة وغناها ، أو على جمال هذه الأداة الأولية فى التعليم ونقل الأفكار الى الآخرين · يقول احد العلماء فى هذا الموضوع : « ان اللغة لا تؤدى فقط وظيفة القوة الموحدة فى المجتمع ، ولكنها فى نفس الوقت تعتبر أقوى عامل معروف لدينا لنمو الفردية »(٣) · وينبغى أن نضيف الى اللغة وسائل التعبير الأخرى العديدة التى يتيحها المجتمع المتطور أو الحديث أو المعقد ·· فهذا المجتمع يمد الفرد على نطاق كبير بأنواع كثيرة من الاتصالات والمهن والمصالح والفرص ـ أى بالمؤثرات العامة والخاصة التى يمكن أن تستجيب لها فروق الفردية بالطريقة التى تلائمها · وقد وضع « اميل دوركايم »

---

(٣) E. Sapir; « Language », in Encyclopedia of the Social Sciences. (N. Y. : Macmillan, 1935) , IX , p. 160.

(Emile Durkheim)رسالة سوسيولوجية ممتازة عنوانها « تقسيم العمل فى المجتمع »(٤) تدور حول هذا الموضوع · ويوضح لنا « دوركايم » بمهارة أن فى المجتمعات البدائية حيث يوجد تخصص فى العمل فى أبسط صوره تلعب المشابهة (فى الانتساب الى نفس رئيس العائلة وفى قبول نفس المعتقدات والآداب العامة) أكبر دور فى التماسك الاجتماعى · وفى نفس الوقت يلفت نظرنا الى أن التركيب الاجتماعى فى المجتمعات الأكثر تقدما ـ حيث يوجد تخصص متزايد فى العمل ـ يقوم على المشابهة والمخالفة على حد سواء ، وبذا يعمل على ايقاظ درجة عالية من الفردية ·

وملخص نظرية « دوركايم » أنه اذا فكر كل الناس بطريقة متشابهة ، وشعروا بطريقة متشابهة ، وعملوا بطريقة متشابهة ، واذا كانت جميع مقاييسهم ومصالحهم واحدة ، واذا قبلوا نفس العادات الجمعية ، ورددوا نفس الآراء دون اعتراض أو اختلاف ·· فما كانت الحضارة الانسانية لتتقدم قيد أنملة ، ولبقيت الثقافة جامدة لا تتحرك من مرحلتها التطورية الأولى ، وما كان يمكن أيضا أن ينشأ تخصص أو حياة تتبادل فيها المنافع الا فى القليل النادر · ومن المعلوم أن التخصص وتبادل المنافع من ضرورات التربية الفردية ·· ولأنه لو كانت المشابهة طابع الحياة الاجتماعية لكان كل الوجود الذى حولنا سطحيا ومصطنعا ، ولافتقدنا المعانى الانسانية التى يتصف بها التعاون الاجتماعى ، ولانمحى كل باعث مفيد على الاتصالات الاجتماعية ، كما يضيع من حياتنا كل نوع من أنواع المباداة والعمل الاستقلالى ، ويحل محلها التخريب ومقاومة كل محاولة لضم الناس فى صف واحد ، وبذا ينعدم الأمل فى التقدم ، وتأخذ الحياة لونا قاتما ومظهرا رتيبا ·· وقد أيد سوسيولوجيون كثيرون هذه الحقيقة التى اكتشفها « دوركايم » ، بما قاموا به من أبحاث ·· وفى عالمنا هذا

---

(٤) Emile Durkheim (traslated by G. Simpson) ; **The Division of Labor in Society** . (Gleneoe, Ill. : Free Press, 1949) .

الذى نعيش فيه يسير المجتمع والفردية جنبا الى جنب متعاونين . واذا لم تقم الخصومة بينهما فالمتوقع أن يعتمد كل منهما على الآخر ويسهم فى الخدمات التعاونية المشتركة .

* * *

● **قصور مبدأ التعاون بين الفرد والمجتمع :**

اننا نتساءل : هل هناك توافق تام بين الفردية والمجتمع ؟ ويمكننا ـ دون أن نتخلى عن مبدأ توقف كل منهما على الآخر ـ أن نجيب عن هذا التساؤل بمناقشة نواحى القصور فى هذا المبدأ ..

١ ـ التكامل الاجتماعى لا يقع بتمامه :

ان المجتمع ـ كما نعلم ـ ملىء بالمنازعات والمشاحنات والتمرد والكبت والقمع .. ففى كل فئة اجتماعية ، وفيما بين الفئات المختلفة بالمجتمع ، يقوم صراع دائم بين المصالح المختلفة والمتعارضة ، وهناك الاحتكاك ومظاهر سوء التوافق ، والأحقاد والعقبات والمشكلات الناشئة عن المنافسة والقيود ومظاهر الاستغلال وغيرها . ومن شأن هذا كله أن يؤثر فى التوافق بين الفرد والمجتمع ، كما يحد من التكامل الاجتماعى بين الأفراد والفئات الاجتماعية المتضمنة فى النسق الاجتماعى ، وهذا النسق ذاته تسوده نظم من طبيعتها أن تمكن بعض الفئات أو الطبقات الاجتماعية من السيطرة على البعض الآخر .

ومعنى هذا أن التكامل الاجتماعى لا يكون تاما مطلقا ، ولا يسوده التوافق فى جميع الأحوال . وقد زعم كل من « موسولينى » و «هتلر» أن دكتاتوريتهما التى أطلقا عليها اسم « النظام الشمولى » قائمة على التكامل الاجتماعى ، غير أن ما سجله التاريخ لعهدهما من فظائع ومذابح بشرية ، وكذا ما حدث فى البلاد الشيوعية من قتل الحريات الفردية وقمعها والغاء شخصية الأفراد واعتبارهم تروسا فى عجلة الجماعة .. كل هذا يذكرنا بما يمكن أن تتحول اليه المجتمعات المتحضرة من تطبيق لما هو أشد قسوة من الأساليب البدائية ، فى أوقات

الأزمات الاجتماعية . وانه ليذكرنا كذلك بأن تكامل الفردية والمجتمع ، ليس فقط من العلامات البارزة فى تاريخ الانسان القديم ، ولكنه الى جانب ذلك هدف يواصل السعى الى تحقيقه فى الحاضر والمستقبل .

٢ ـ كبح المجتمع جماح الفرد :

من هو ذلك الفرد الذى لم يشعر فى قراره نفسه فى بعض الأحيان أنه ممتعض من بعض القواعد والنظم التى فرضها عليه المجتمع ؟ ومن ذا الذى لم يقاوم فى بعض المناسبات المبادىء الاجتماعية العامة فى محيطه أو ينهزم أمامها ؟ اننا لا نشير هنا الى مجرد قمع الميول والسلوك المضاد للحياة الاجتماعية السليمة ، فهذا أبعد ما يكون عن تفكيرنا .. ولكنا نقصد مقاومة الدوافع والرغبات ، وأحيانا ما يبدو أنه مثل عليا ، اذا كان النظام الاجتماعى نفسه يفرضها بقسوة وبروح مجردة من العدالة ..

اننا نشعر بأن التضاد بين المجتمع البدائى الأقل تنوعا فى داخله وبين المجتمع المعقد المتباين الأجزاء ، يكشف لنا ما فى مبدأ التوافق بين الفرد والمجتمع من قصور .. ذلك لأن المجتمع المعقد فى العالم الحديث يتميز بالعديد من المنظمات والمؤسسات الكبيرة والروابط الاقتصادية والسياسية المنشأة على نطاق واسع التى تقوم جميعا على تقسيم الوظائف والتخصص حتى يصبح الفرد وكأنه أحد أسنان عجلة (ترس) فى آلة اجتماعية ضخمة . وتنحصر مهمته فى اداء عمله بشكل آلى داخل دائرة تخصصه ، فلا تتهيأ له الا أقل الفرص لاظهار فرديته . وهذا الكبح الذى يتعرض له الانسان فى المجتمع الحديث اهتم به الباحثون فى علم النفس وعلم الاجتماع ، للوقوف على كيفية تعطل روح الابداع والقوة الخلاقة عند الفرد نتيجة لمقتضيات النظام الآلى الذى تدعو اليه الحياة المهنية الحديثة .. ليس فى وسعنا اذن أن نتجاهل قصور الفردية الذى تفرضه النظم السائدة ، ومن شأن هذا القصور أن يثير مشكلة كبيرة من مشكلات الحياة الاجتماعية

المعاصرة . وينبغى أن نذكر هنا أن الاهتمام الذى تلقاه هذه المشكلة من كثيرين من المفكرين لا يتيسر فى واقع الأمر الا فى مجتمع متقدم ومتطور تسمح نظمه بالكشف عن امكانات الفردية على نطاق واسع .

* * *

● **الفردية فى الاسلام :**

لو ترك الانسان وطبيعته يسير فى طريقها دون أن يلزم نفسه بتوجيه معين ـ لسار حتما الى غاية لا يتخلف عنها أبدا .. وهى أن يكون أنانيا يحب ذاته ، ويعمل لنفسه فقط ، ويتصور الوجود كله وقفا عليه ، والحياة الانسانية خاصة به .. فلا حدود لأنانيته ، ولا نهاية لرغباته ، فان حصل على شىء منها استخلصه لنفسه وأمسك به عن غيره ، وان فاته الحصول عليه غضب وقلق .. ذلك لأن ذاته فى تصوره هى مركز هذه الحياة ، كل ما فيها يجب أن يدور فى فلكه هو ، وأن يكون له وحده دون غيره . ونتيجة لهذا التصور فانه لا يقر لغيره بحق العيش والمشاركة فى الحياة معه .. ونتيجة أنانية الانسان أن يسيطر عليه الخوف من أن يفلت شىء مما تملكه ، ويستولى عليه الحزن الشديد ان فاته عرض من أعراض الدنيا ، ويخاصم غيره بعنف على امتلاك متع الحياة . وعلى ذلك يغلب على حياته الخوف والحزن والقلق والاضطراب .. وهذه مظاهر تحكم الفردية فى سلوك الانسان ، وهى بذاتها دائرة الوجود الفردى الذى يعيش فيه الانسان ، ذلك اذا لم يوجه توجيها جماعيا ، يجعل منه ومن غيره من أفراد المجتمع جماعة وامة .

ان الاسلام لا يرضى عن هذه الفردية ، ويراها منحرفة لأنها لا توصل الى سعادة الانسان نفسه ، ولا الى قيام جماعة منه ومن غيره . ولهذا يحرص كل الحرص على أن ينشىء الانسان على الايمان بالله ، دفعا له على الخروج من هذه الفردية الضيقة ، وبالتالى دفعا له على الخروج من هذا الحرج النفسى الأليم .. والايمان بالله ليس مجرد كلمة ينطق بها المؤمن ، بل هو عهد وميثاق من الانسان لله جل وعلا ، ومجمل هذا العهد أن يعيش لنفسه وغيره ، فما استحق أن يعيش

من يحيا لنفسه فقط ، ويقر فى ذات نفسه بانه له حقوقا وعليه واجبات .. له حقوق بقدر ما يبذل فى سبيل من يعاشرهم ويعاملهم والمجتمع العام ، وعليه واجبات بقدر ما يعد نفسه اعدادا يجعلها تدرك بوضوح انها ليست وحدها فى هذه الحياة ، وان مشاركيها فى هذه الحياة لهم حقوق قبلها يتعين أداؤها .. فالمؤمنون بالله اذن هم أولئك الذين لم يذعنوا لنداء الطبيعة الانسانية الفطرية الفجة ، فلم يعيشوا لأنفسهم وحدهم ، ولم يمضوا فى الحياة لتحقيق مآربهم الذاتية الخاصة دون غيرها ..

فالمؤمن بالله حينئذ انسان أمن على نفسه من الخوف ، وحال بينها وبين الهم والحزن ، وجنبها الخصومة والنزاع . وهو المطمئن فى سعيه لأنه يقصد وجه الله فيما يسعى ، وهو الناجح فى هذه الدار لأنه استطاع أن يتغلب على نزوات نفسه ، وهو الناجح فى الدار الآخرة لأن الله لا يخلف وعده للمؤمنين . يقول جل شأنه : « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** » .

(المؤمنون : ٨ ـ ١١)

ولقد أوضح القرآن الكريم حال الانسان اذا انقاد لطبيعته الفطرية ، فيقول سبحانه : « **ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا** » .

(المعارج : ١٩ ـ ٢١)

كما أوضح ـ سبحانه ـ حال الانسان فيما اذا آمن بالله ، فاستثناه من طابع صاحب الحالة الأولى ، فقال تعالى : « **الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** » .

(المعارج : ٢٢ ـ ٢٧)

ويروى عن أبى يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك

لأحد الا للمؤمن .. ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » . (رواه مسلم)

فالرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصور حال المؤمن بأنها حال الاطمئنان والاستقرار .. وتلك حال خيره ، بعيدة عن الألم والاضطراب ، بالقياس الى حال الانسان المسترسل فى نزواته ، الأنانى فى مسعاه ، والفردى فى اتجاهه ، فهو ذلك الانسان الخائف القلق الحزين .

فالاسلام يؤمن بالفرد ، ولكنه لا يؤمن بالفردية المطلقة . وهو فى حال ايمانه بالفرد يؤمن بحقيقة موجودة ، وفى حال انكاره للفردية يرغب فى أن تجنب الفرد مخاطر الفردية التى تتمثل فى الخوف والحزن الدائمين . وعلى هذا الأساس يشجع الاسلام نشاط الفرد فى أى جانب من جوانب الحياة ، وحريته فيما يرى وفيما يعبر .. ولا يحد نشاطه الفردى وحريته الفردية الا فى حالة اعتدائه على حرية غيره فى جماعته أو ايذائه .

***

أخلاق الفرد المسلم وسلوكه

يقتضى التنظيم الاسلامى ضرورة توضيح صلة الفرد بربه فى ضوء اصول تنظيم العلاقات البشرية وتوجيه الناس اليه وحتمية استجابتهم له ، على أن يكون كل ذلك مسبوقا بخشيتهم للخالق ـ سبحانه ـ وحتمية استجابتهم لأوامره ونواهيه واستشعارهم لعظمته ، وأنه يعلم من الانسان سره وعلانيته .. وبذلك تستقر فى نفوس الأفراد مبادىء الرحمة والمحبة والتعاون ، وتبادل المنافع وتوحيد المشاعر والأحاسيس . ومن هنا يرى الفرد نفسه وحدة من وحدات المجتمع ، فيبذل من نفسه وماله

---

(٥) محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم (ط ٢) . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥

وراحته ما يحقق عضويته بالمجتمع . وبصفة عامة فان الاسلام يتميز بكتابه الذى يربط بين الفرد والمجتمع ، وبين الله والانسان .. ولا غرو ، فان الاسلام اساسه الوحى الالهى ، ولا دين بعد الاسلام .

* * *

القيم والأخلاق فى الاسلام(٦)

ان الأخلاق فى الاسلام لم تدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية .. روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو انفعالية ، فردية أو اجتماعية .. الا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع القويم . وفيما يلى أمثلة الشمول فى مجال الفرد والمجتمع :

١ ـ ان من أخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد فى كافة نواحيه :

(أ) جسما له ضروراته وحاجاته ، مثل قول الله تعالى : **« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »** . (الأعراف : ٣١)

وقول الرسول ﷺ : « ان لبدنك عليك حقا » .
(رواه الشيخان)

(ب) وعقلا له مواهبه وآفاقه ، يقول القرآن الكريم :

● **« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض .. »** .
(يونس : ١٠١)

● **« قل انما أعظكم بواحدة ، ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »** . (سبأ : ٤٦)

(جـ) ونفسا لها مشاعرها ودوافعها ، يقول تعالى : **« ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها »** . (الشمس : ٧ ـ ١٠)

---

(٦) سيد عبد الحميد مرسى : **الدين للحياة** ، مرجع سابق ، ص ٥٩ ـ ٨٨

٢ ـ ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالمجتمع :

(أ) فى آدابه ومجاملاته ، مثل : « **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** » . (النور : ٢٧)

(ب) وفى اقتصاده ومعاملاته ، مثل : « **ويلٌ للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون** » . (المطففين : ١ ـ ٣)

(جـ) وفى سياسته وحكمه ، مثل : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ..** » . (النساء : ٥٨)

وبهذا يتجلى شمول الأخلاق الاسلامية ، من حيث موضوعها ومحتواها ..(٧).

* * *

● **الأخلاق الفاضلة فى القرآن والسنة :**

يحث القرآن الكريم على التحلى بالأخلاق الفاضلة واتباع الأسلوب القويم ، والابتعاد عن الشر وسوء الخلق .. وسنناقش فيما يلى اهم القيم والمبادىء الخلقية التى تتضمنها المعاملة ، مع الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وتتلخص هذه المبادىء فيما يأتى :

ـ ادب الحديث .

ـ التسامح والرحمة .

---

(٧) محمد الغزالى : **خلق المسلم** (ط ٨) . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٤ ، ص ١٩ ـ ٢٥

- الحلم والصفح ٠
- العـــدالة ٠
- الصدق والأمانة ٠
- الوفاء والاخلاص ٠
- الصبر ٠
- الحيـــاء ٠
- الاخاء ٠
- الاتحاد والتعاون ٠

أولا ـ أدب الحديث :

ان نعمة البيان أجل النعم التى أسبغها الله تعالى على الانسان ، وكرمه بها على ســائر الخلق ، قال تعالى : « **الرحمن ٠ علم القرآن ٠ خلق الانسان ٠ علمه البيان** » ٠ (الرحمن : ١ ـ ٤)

وقد أوضح الاسلام كيف يستفيد الناس من هــذه النعمة المسداة ، وكيف يجعلون كلامهم الذى يتردد على السنتهم طوال يومهم طريقا الى الخير المنشود ٠ وقد عنى الاسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام وأسلوب أدائه ، لأن الكلام الصادر عن انسان ما يشير الى حقيقة عقله وطبيعة خلقه ، ولأن طرق الحديث السائدة فى جماعة ما تحكم على مستواها العام ومدى تغلغل الفضيلة فى بيئتها ٠

والبعد عن اللغو من أركان الفلاح ، ودلائل الاكتمال ، وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الاسلام ، هما الصلاة والزكاة : « **قــد أفلح المؤمنون ٠ الذين هم فى صلاتهم خاشــعون ٠ والذين هم عن اللغو معرضون ٠ والذين هم للزكاة فاعلون** » ٠

(المؤمنون : ١ ـ ٤)

فاذا تكلم المرء فليقل خــيرا وليعود لسانه الجميــل من القول ٠ والكلام الطيب العف يجمل مع الأصــدقاء والأعداء جميعــا وله ثماره

الطيبة .. فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم ، ويستديم صداقتهم ، ويمنع كيد الشياطين ان يوهن حبالهم ويفسد ذات بينهم . قال تعالى : **« وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا »** . (الاسراء : ٥٣)

واما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفىء خصومتهم ، ويكسر حدتهم ، او على الأقل يوقف تطور الشر . قال تعالى : **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم »** . (فصلت : ٣٤)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، او ليصمت » . (متفق عليه)

ـ وعنه عن النبى ﷺ قال : « ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وان العبد لتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » .
(رواه البخارى)

ـ وعن ابى موسى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ، اى المسلمين افضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .
(متفق عليه)

ـ « اكثر خطايا ابن آدم من لسانه » .
(رواه الطبرانى والبيهقى)

* * *

ثانيا ـ التسامح والرحمة :

الاسلام دين سمح يشجع على الحرية فى التفكير والحرية فى ابداء الراى ، ويدعو الى تبادل المودة والتراحم بين بنى البشر . والقرآن الكريم يحثنا على العفو والصفح والاعراض عن الجاهلين ، كما يأمرنا أن نصل من قطعنا ونعطى من حرمنا ، قال تعالى :

● « فاصفح الصفح الجميل » ٠ (الحجر : ٨٥)

● « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » ٠
(الأعراف : ١٩٩)

● « وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » ٠ (النور : ٢٢)

أن هذه الصفات الخلقية التى حثنا الاسلام على التحلى بها هى المثل العليا التى تربط الانسان بأخيه الانسان ٠ فبالتسامح والحلم تدوم الأخوة الصادقة وتقوى الروابط والصلات بين الناس ٠ والمؤمن عزيز النفس يدرك كل الادراك متى يقابل الاساءة بالعفو ومتى يقابل الاساءة بمثلها ٠٠قال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين » ٠ (الشورى : ٤٠)

ان الرحمة كمال فى الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الآخرين ويسعى لازالتها ، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى ٠ هى كمال فى الطبيعة لأن تبلد الحس يهوى بالانسان من منزلته الانسانية بل ويجرده من أفضل صفاته ، وهى العاطفة النابضة بالحب والمودة والرحمة والرأفة ٠

والرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة الخالق عز وجل ٠ فان رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت ٠ فحيثما أشرف شعاع من علمه المحيط بكل شىء انبثق معه شعاع للرحمة الغامرة ٠ ولذلك كان من صلاة الملائكة له سبحانه : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » ٠ (غافر : ٧)

وكثير من أسماء الله الحسنى ينبع من معانى الرحمة والكرم والفضل والعفو ٠ وقد جاء فى الحديث القدسى : « ان رحمتى تغلب غضبى » ٠
(رواه البخارى)

ولقد أراد الله أن يمن على العالم برجل يمسح آلامه ، ويخفف أحزانه ، ويرثى لخطاياه ، ويأخذ بناصر الضعيف . فارسل محمدا عليه الصلاة والسلام ، وسكب في قلبه من العلم والحلم ، وفي خلقه من الايناس والبر ، وفي طبعه من السهولة والرفق ، ما جعله أزكى عباد الله رحمة ، وأوسعهم عاطفة ، وأرحبهم صدرا . لذلك قال فيه : **« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .. »** . (آل عمران : ١٥٩)

وقد جاءت الأحاديث تترى حاثة على هذه الرحمة الشاملة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

- « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . (رواه البخارى)
- « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء » . (رواه الطبرانى)
- « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له » . (رواه أحمد)
- « لا تنزع الرحمة الا من شقى » . (رواه أبو داوود)

والاسلام رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم ، وقد قال الله لرسوله : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** (الأنبياء : ١٠٧)

وسور القرآن كلها مفتتحة بـ : **« بسم الله الرحمن الرحيم »** .

وليست الرحمة حنانا لا عقل معه ، أو شفقة تتنكر للعدل والنظام .. انها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعا .. فالزجر فى موضعه ، والعقاب فى مكانه ، مطلوب عندما تدعو الحاجة ، كى تستقيم الأمور ويستتب الأمن والنظام .. ان القسوة التى استنكرها الاسلام جفاف فى النفس لا يرتبط بمنطق أو عدالة . انها نزوة تتشبع من الاساءة والايذاء ، وتمتد مع الأثرة المجردة والهوى الأعمى .. أما الرحمة فهى أثر من الجمال الالهى الباقى فى طبائع البشر يحدوهم الى البر ، ويهب عليهم فى الأزمات الخانقة ريحا لطيفة ترطب الحياة وتنعش الصدور .

ونبه الاسلام الى ان هناك اقواما ينبغى ان يحظوا باضعاف من الرحمة والعناية :

ـ من هؤلاء ذوو الأرحام ، قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، الرحم شجنة (قرابة مشتبكة) من الرحمن ، من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله » . (رواه الترمذى)

فعلى المسلم ان يؤدى حقوق اقربائه وان يقوى بالمودة الدائمة صلات الدم القائمة .. واجدر الناس واولاهم بهذه الرحمة هم الوالدان ، قال تعالى : « **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » . (الاسراء : ٢٤)

ـ وممن تجب الرحمة بهم اليتامى ، فان الاحسان اليهم والبر بهم وكفالة عيشهم وصيانة حقوقهم من ازكى القربات .

فعن أبى هريرة أن رجلا شكا الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه . فقال عليه الصلاة والسلام : « امسح راس اليتيم واطعم المسكين » .
(رواه أحمد)

ـ وتجل الرحمة مع المرضى وذوى العاهات .. فان هؤلاء المصابين من شأنهم ان يستقبلوا الحياة بوسائل وامكانات منقوصة ، تعجزهم عن المسير فى ركبها وادراك اغراضهم منها ، وقد عذرهم الله تعالى فلا يجوز ان نؤاخذهم بما أعفاهم الله منه : « **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومن يتول يعذبه عذابا اليما** » .
(الفتح : ١٧)

* * *

ثالثا ـ الحلم والصفح :

تتفاوت درجات الناس فى الثبات امام المثيرات .. فمنهم من تستخفه التوافه فيثور بسرعة ، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وضعها الأليم محتفظا برجاحة عقله وسماحة خلقه . ومع أن للطباع الأصيلة دخلا كبيرا فى انصبة الناس من الحدة والهدوء ، والعجلة والأناة ، والكدر والسماحة ، الا أن هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة الفرد بنفسه وبين اناته مع الآخرين وتجاوزه عن خطئهم . فالرجل العظيم حقا كلما خلق فى آفاق الكمال اتسع صدره ، وامتد حلمه ، وعذر الناس من انفسهم ، والتمس المبررات لأخطائهم .

وقد راينا الغضب يشتط بأصحابه الى حد الجنون ، عندما لا يملكون زمام انفسهم ، ويرون انهم حقروا تحقيرا لا يعالجه الا سفك الدم . فلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائله فانه لا يحس بوخز الألم على هذا النحو الشديد ، فالاهانات تسقط على قاذفها قبل ان تصل الى مرماها البعيد . وهذا المعنى يفسر لنا حلم « هود » عليه السلام وهو يستمع الى اجابة قومه بعدما دعاهم الى توحيد الله ، فقالوا : **« .. انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين . ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين »** . (الأعراف : ٦٦ ـ ٦٨)

والجاهلية التى عالج رسول الله ﷺ محوها كانت تقوم على ضربين من الجهالة : جهالة ضد العلم ، واخرى ضد الحلم . فأما الأولى فتقطيع ظلامها يتم بأنواع المعرفة وفنون التوجيه والارشاد ، وأما الأخرى فكف ظلمها يعتمد على كبح النفس ومنع الفساد . فجاء الاسلام ليقيم اركان المجتمع على العدل ، ولن تتحقق هذه الغاية الا اذا هيمن العقل الراشد على غريزة الغضب . وكثير من النصائح التى اسداها الرسول للعرب تتجه الى هذا الهدف ، حتى اعتبرت مظاهر الطيش والتعدى انفلاتا من الاسلام وانطلاقا من القيود التى ربط بها الجماعة ، ومن الحديث : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . (رواه مسلم)

ومن الناس من لا يسكت عنه الغضب ، فهو فى ثورة دائمة ، وتغيظ يطبع على وجهه العبوس . اذا مسه أحد ارتعش كالمحموم ، وأنشأ يرغى ويزبد ويلعن ويطعن . والاسلام برىء من كل هذه الخلال الكدرة . واللعن من الخصال السيئة ، والذين يستنزلون اللعنات على غيرهم لأتفه الأسباب يتعرضون لبلاء جسيم . بل ان المرء يجب أن يتنزه عن لعن غيره ولو اصابه منه الأذى الشديد . وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه ، ويكظم غيظه ، ويملك قوله ، ويتجاوز الهفوات ، ويرثى للعثرات ، تكون منزلته عند الله . قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء » . (رواه الترمذى)

ومن الآيات الكريمة فى هذا المجال :

● **« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .**
(الأعراف : ١٩٩)

● **« وليعفوا وليصفحوا ، الا تحبون ان يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » .** (النور : ٢٢)

● **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » .** (فصلت : ٣٤)

● **« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .**
(آل عمران : ١٣٤)

● **« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون » .** (الشورى : ٣٧)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « ليس الشديد بالصرعة (الذى يغلب الناس ويصرعهم) انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » . (متفق عليه)

ـ « اذا غضب احدكم فليسكت » . (رواه أحمد)

ـ « قال الله عز وجل : من ذكرنى حين يغضب ذكرته حين أغضب ، ولا أمحقه فيمن أمحق » . (رواه الديلمى)

ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » . (متفق عليه)

ـ وعنها أن النبى ﷺ قال : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه » . (رواه مسلم)

* * *

رابعا ـ العدالة :

الاسلام دين الوحدة بين العبادة والمعاملة ، والعقيدة والسلوك ، والروحيات والماديات ، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية . انه دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا ، فهو دين التوحيد .. توحيد الاله ، وتوحيد الأديان جميعا فى دين الله ، قال تعالى : **« وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون »** . (المؤمنون : ٥٢)

وعن تلك الوحدة الكبرى تصدر تشريعات الاسلام وفرائضه ، وحدوده وتوجيهاته ، وآراؤه فى مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والمعاملات . وفى ذلك الأصل الكبير تنطوى سائر الأجزاء والتفصيلات . وحين ندرك هذه الفكرة الكلية فى طبيعة النظرة الاسلامية للكون والحياة والانسان ، ندرك معها الخطوط الأساسية للعدالة الاجتماعية فى الاسلام .. فهى قبل كل شىء عدالة انسانية شاملة ، تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك ، والضمائر والوجدانات ، والقيم المادية والمعنوية والروحية . ان الحياة فى نظر الاسلام تراحم وتودد وتعاون وتكافل بين المسلمين على وجه خاص ، وبين افراد الانسانية على وجه عام .

وعندما يضع الاسلام نظمه وتشريعاته ، ونصائحه وتوجيهاته ، لا يغفل ذلك الحب الفطرى للذات عند الانسان ، ولا ينسى ذلك الشح الفطرى العميق ، ولكنه يعالج الأثرة ويعالج الشح بالتوجيه وبالتشريع ،

فلا يكلف الانسان الا وسعه ، ولا يغفل فى الوقت ذاته حاجات الجماعة ومصالحها ، وغايات الحياة العليـا فى الفرد والجماعة على توالى العصور والأجيال . يقول الله تعالى فى كتابه الكريم عن الانسان :

- « **وانه لحب الخير لشديد** » . (العاديات : ٨)
- « **وأحضرت الأنفس الشح .. »** . (النساء : ١٢٨)
- « **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لأمسكتم خشـية الانفاق ، وكان الانسان قتورا** » . (الاسراء : ١٠٠)

لقد قرر الاسلام مبدأ المساواة الانسانية ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحا للتفاضل بالجهد والعمل ، كما وضع فى الميزان قيما أخرى غير القيم الاقتصادية . قال تعالى :

- « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم .. »** . (الحجرات : ١٣)
- « **.. يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .. »** (المجادلة : ١١)
- « **المـال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخـير أملا** » . (الكهف : ٤٦)

وهكـذا يبـدو ان الاســلام قد وضـع قيما أخرى ـ غير القيم الاقتصادية ـ يحسب حسابها ، ويجعل منها وسـيلة للتعادل فى المجتمع حين تتفاوت الأرزاق بين الناس .. فالعدل المطلق يقتضى أن تتفاوت الأرزاق ، وأن يفضل بعض الناس بعضا فيها مع تحقق العدالة الانسانية باتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، فلا يقف أمام فرد حسب ولا نشـأة ولا أصل ولا جنس ، ولا قيد واحد من القيود التى تغل الجهود وتعطلها .

ان العدالة فى ذاتها مطلوبة لأنها أقرب القربات الى الله تعالى .. العدالة فى كل شىء وفى كل عمل ، أى العدالة فى الأقوال والأفعال

والسلوك عامة . ويجب على المؤمن أن يقاوم الباطل وأن يناصر الحق بكل ما أوتى من قوة . وليس فى الاسلام طبقية فلا يكرم الغنى لغناه ، ولا يذل الفقير لفقره ، كما لا يعرف التفرقة العنصرية ، فلا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى . يقول تعالى :

● « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » . (الحجرات : ١٣)

● « **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** » .
(الأنعام : ١٥٢)

● « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** » . (النحل : ٩٠)

● « **الا لعنة الله على الظالمين** » . (هود : ١٨)

● « **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** » . (غافر : ١٨)

● « **وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا** » .
(الكهف : ٥٩)

ومن الحديث النبوى الشريف فى النهى عن الظلم :

ـ « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام » . (رواه الطبرانى وأحمد)

ـ « يقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله . ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم ينصره » .
(رواه أحمد)

ـ « لعن الله من رأى مظلوما فلم ينصره » . (رواه الديلمى)

ـ « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » . (رواه أبو داوود)

ـ « اذا رأيت أمتى لا يقولون للظالم منهم : أنت ظالم ، فقد تودع منهم » . (رواه الترمذى)

ـ « دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ، ففجوره على نفسه » .
(رواه أحمد)

* * *

خامسا ـ الصدق والأمانة :

ان الاستمساك بالصدق فى كل شىء ، وتحريه فى كل قضية ، والالتجاء اليه فى كل حكم .. دعامة أساسية فى خلق المسلم وصبغة ثابته فى سلوكه . وكذلك كان بناء المجتمع فى الاسلام قائما على محاربة الظنون ، ونبذ الشائعات ، فان الحقائق وحدها هى التى يجب أن تظهر وتغلب وان تعتمد فى اقرار العلاقات المختلفة بين الناس .

قال رسول الله ﷺ : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » .
(رواه البخارى)

وقال : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة » . (رواه الترمذى)

وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التى ملأت عقولهم بالخرافات ، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب ، فقال : **« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »** . (النجم : ٢٣)

وقال : **« وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا »** . (النجم : ٢٨)

ولقد كان السلف الصالح يتلاقون على الفضائل ويتعارفون بها ، فاذا أساء أحد السيرة وحاول أن ينفرد بمسلك خاطىء ، بدا بعمله هذا ـ كالأجرب بين الأصحاء ، فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته . وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث ودقة الأداء وضبط الكلام .. أما الكذب والنفاق والتدليس والافتراء ، فهى أمارات انقطاع الصلة بالدين ، أو هى اتصال بالدين على أسلوب المدلسين والمفترين ، أى أسلوب الكذابين فى مخالفة الواقع .

ان الكذب رذيلة محضة تنبىء عن تغلغل الفساد فى نفس صاحبها ، وعن سلوك ينشىء الشر ويندفع الى الاثم .. هناك رذائل يلتاث بها الانسان ، تشبه الأمراض التى تعرض للبدن . بل هى حقا أمراض اجتماعية أو خلقية ، ولا يصح منها الا بعد علاج طويل ، كالخوف الذى يصاب به العيابون ، أو الحرص الذى تنقبض به الأيدى . وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوسواس الحرص أو الخوف عندما يواجهون مواقف التضحية والفداء .. ولكنه لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقا ويعيشون به على خديعة الناس .

قال رسول الله ﷺ : « يطبع المؤمن على الخلال كلها ، الا الخيانة والكذب » (رواه أحمد)

وكلما اتسع نطاق الضرر اثر كذبة يشيعها أفاك جرىء كان الوزر عند الله أعظم . وهذا الضرب من الافتراء فاحش فى حقيقته ، وخيم فى نتيجته . ويدخل فى نطاق هذا الافتراء سائر ما ابتدعه الجهال ، واقحموه على دين الله من محدثات لا أصل لها ، عدها العوام دينا ، وما هى بدين ، ولكنها لهو ولعب .

والمرء قد يستسهل الكذب حين يمزح ، حاسبا أن مجال اللهو لا خطر فيه على أخبار أو اختلاق .. ولكن الاسلام الذى أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك الا فى حدود الصدق المحض ، فان فى الحلال مندوحة عن الحرام ، وفى الحق غناء عن الباطل . والمشاهد أن الناس يطلقون العنان لأخيلتهم فى تلفيق **الأضاحيك ولا يحسون** حرجا فى ادارة أحاديث مفتراة على السنة خصومهم أو أصدقائهم ليتندروا بها أو يسخروا منها . وقد حرم الدين هذا المسلك تحريما تاما ، اذ الحق أن اللهو بالكذب ، كثيرا ما ينتهى الى أحزان وعداوات .

قال رسول الله ﷺ : « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له » . (رواه الترمذى)

والاسلام يستلزم من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ ، تصان به

حقوق الله وحقوق الناس ، وتحرس به الأعمال من دواعى التفريط والاهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون « أمينا » .. والأمانة واسعة الدلالة ، وهى ترمز الى معان شتى مناطها جميعا شعور الفرد بتبعته فى كل أمر يوكل اليه ، وادراكه الأكيد بأنه مسئول أمام ربه ، على النحو الذى فصله الحديث النبوى الكريم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته » .

(رواه البخارى)

وعن أنس قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ الا قال : « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (رواه أحمد)

ومن معانى الأمانة وضع كل شىء فى المكان الجدير به واللائق له ، فلا يسند منصب الا لصاحبه الحقيق به ، ولا تملأ وظيفة الا بالرجل الذى ترفعه كفايته اليها . فالأمانة تقضى بأن تختار للأعمال أحسن الناس قياما بها ، فاذا ملنا عنه لغيره ـ لهوى أو مجاملة أو قرابة ـ فقد ارتكبنا بذلك خيانة فادحة . قال رسول الله ﷺ : « من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . (رواه الحاكم)

وجاء رجل يسأل رسول الله ﷺ : متى تقوم الساعة ؟ فقال له : « اذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة » . فقال : وكيف اضاعتها ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « اذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة » .

(رواه البخارى)

ومن معانى الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا فى العمل الذى يناط به ، وأن يبذل جهده فى اتمامه على خير وجه . فهذه أمانة يمجدها الاسلام .. أن يخلص الشخص لعمله وأن يعنى باجادته . وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت بين يديه .

ومن الأمانة الا يستغل الشخص منصبه الذى عين فيه ، للحصـــول على منفعة لنفســه او لذوى قرباه ، فان التشبع من المــال العام جريمة . وقد شدد الاسلام فى ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ ، كما شـدد فى رفض المكاسب غير المشروعة . قال تعــالى : « **يا ايها الذين آمنـوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون . واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنــده أجر عظيم** » .

(الأنفال : ٢٧ ـ ٢٨)

ومن الآيات القرآنية فى مجال الصدق والأمانة :

- « **يا ايها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » .

(التوبة : ١١٩)

- « **ليجزى الله الصادقين بصدقهم ..** » .

(الأحزاب : ٢٤)

- « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ..** » .

(النساء : ٥٨)

- « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » . (المؤمنون : ٨)

- « **فان أمن بعضكم بعضــا فليؤد الذى أؤتمن امانته وليتق الله ربه ..** » (البقرة : ٢٨٣)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « اد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » .

(رواه أحمد وأبو داوود)

ـ « المستشار مؤتمن » . (رواه الطبرانى)

* * *

سادسا ـ الوفاء والاخلاص :

اذا أبرم المسلم عقدا فيجب أن يحترمه ، واذا أعطى عهــدا فيجب أن يلتزمه . ومن الايمان أن يكون المرء عنــد كلمته التى قالها ، فيعرف

بين الناس بأن كلمته موثق غليظ لا خوف من نقضها . والوفاء بالعهد يحتاج الى عنصرين ، اذا اكتملا فى النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به ، وهما قوة الذاكرة ، وقوة العزيمة .. فضعف الذاكرة ، وضعف العزيمة ، عائقان كثيفان عن الوفاء بالعهد . والانسان لتجدد الأحداث أمامه ، وترادف الهموم المختلفة عليه ـ يفعل الزمان فعله العجيب فى نفسه ، فتخبو المعالم الواضحة ، ويمسى ما كان بارزا فى نفسه لا يكاد يظهر . ولهذا فانه يفتقر الى مذكر دائم ليتغلب على النسيان .. فالذكر المطرد اليقظ ضرورة لازمة للوفاء . قال تعالى : « .. **وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** » . (الأنعام : ١٥٢)

فاذا ذكر المرء الموثق المأخوذ عليه ، يجب أن ينضم الى هذا الذكر عزم مشدد على تنفيذه ، عزم يذلل الأهواء الجامحة ، ويهون الصعاب العارضة ، بحيث يمضى فى سبيل الوفاء بما التزم به مهما تجشم من مشاق وبذل من تضحيات .. وأقدار الرجال تتفاوت تفاوتا شاسعا فى هذا المضمار ، فان ثمن الوفاء قد يكون فادحا ، قد يكلف المال أو الراحة أو الأحبة أو الحياة . وعندما يستجمع الانسان الذهن الواعى والقلب الكبير ، فهو أهل للوفاء .

والعهود التى يرتبط المسلم بها درجات ، فأعلاها مكانة وأقدسها : العهد الأعظم الذى بين العبد وخالقه .. وأن الله خلق الانسان بقدرته ، ورباه بنعمته ، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة ، وأن يعترف بها ، وألا تشرد به المغويات ، فيجهلها أو يجحدها . قال تعالى : « **ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين . وأن أعبدونى ، هذا صراط مستقيم** ». (يس : ٦٠ ـ ٦١)

ومن الوفاء المحمود أن يذكر الشخص ماضيه لينتفع به فى حاضره ومستقبله ، فاذا كان فى الماضى معسرا ثم أغناه الله ، أو مريضا فشفاه الله ، فلا يجوز له أن يفصل بين أمسه ويومه بجدار سميك ، ثم يزعم أنه ما كان قط فقيرا ولا مريضا ، ويبنى على غروره بحاضره مسلكا كله فظاظة وجحود .

فهذا نوع من الغدر ينتهى بصاحبه الى النفاق المقوت .

والاسلام يوصى باحترام العقـــود التى تســـجل فيها الالتزامات المـالية وغيرها ، ويأمر بانفاذ الشروط التى تتضمنها . قال تعالى :

● **« وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مســـئولا » .**

(الاسراء : ٣٤)

● **« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون » .**

(النحل : ٩١)

ان صلاح النية واخـلاص القلب لرب العـالمين ، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوى البحت ، فيجعلانه عبادة متقبـلة . وان خبث الطوية ، يهبط بالطاعات المحضـة ، فيقلبها معاصى شائنة فلا ينال المرء منها شيئا ، بعد التعب فى ادائها ، الا الفشل والخسارة . قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو انسان ، الا كان له به صـدقة » . (رواه مسلم)

والحق أن المرء ما دام قد أسلم لله وجهه وأخلص نيته ، فـان حركاته وسكناته تحتسب خطوات الى مرضاة الله . وقد يعجز عن عمل الخير الذى يصبو اليه ، لقلة ماله أو لضعف صحته ، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الاصلاح الى مراتب المصلحين ، والراغب فى الجهاد الى مراتب المجاهدين ، لأن بعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم .

حدث فى احدى الغزوات أن تقدم الى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه ، وأن يجودوا بأنفسهم فى سـبيل الله ، غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم ، فعادوا وفى حلوقهم غصة لتخلفهم عن الميدان ، وفيهم نزل قوله عز وجل : **« ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » .** (التوبة : ٩٢)

ولقد نوه النبى ﷺ بايمان أولئك القوم واخلاصهم ، فقال للجيش السائر : « ان أقواما خلفنا بالمدينة ، ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا ، حبسهم العذر » . (رواه البخارى)

* * *

سابعا ـ الصبر :

قال عليه الصلاة والسلام : « الصبر ضياء » (رواه مسلم)

اذا استحكمت الأزمات وتعقدت ، وترادفت الضوائق وطال ليلها ، فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط ، والهداية الواقية من القنوط . والصبر فضيلة يحتاج اليها المسلم فى دينه ودنياه ، ولا بد ان يبنى عليه آماله واعماله .. فيجب ان يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ، وانتظار النتائج مهما بعدت ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، بعقل متفتح وقلب لم تعلق به ريبة . كما ينبغى ان يظل موفور الثقة بادى الثبات ، ويبقى موقنا بأن بوادر الصفو لا بد آتية . وان من الحكمة ارتقابها فى سكون ويقين . وقد أكد الله سبحانه ان ابتلاء الناس لا محيص عنه ، حتى يأخذوا اهبتهم للنوازل المتوقعة ، فلا تذهلهم المفاجآت ، فقال تعالى : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم** » . (محمد : ٣١)

ولا شك ان لقاء الأحداث ببصيرة مستنيرة واستعداد كامل أجدى على الانسان ، وأدنى الى احكام شئونه ، قال تعالى : « .. **وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** » . (آل عمران : ١٨٦)

والصبر يعتمد على حقيقتين أساسيتين : الأولى ، تتعلق بطبيعة الحياة الدنيا .. فان الله جعلها دار تمحيص وامتحان ، والفترة التى يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات ، يخرج من امتحان ليدخل فى امتحان آخر قد بغاير الأول مغايرة تامة . كذلك قد يكتب القدر على البعض صنوفا من الابتلاء ، ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام الفرد

الا ان يستقبل البلاء الوافد بالصبر ، وما دامت الحياة امتحانا فلنكرس جهودنا للنجاح فيه ٠

والحقيقة الثانية تتعلق بطبيعة الايمان ٠٠ فالايمان صلة بين الانسان وبين الخالق سبحانه ، واذا كانت صلات المودة والصداقة بين الناس لا يعتد بها ولا ينوه بشأنها الا اذا تأكدت على مر الأيام واختلاف الحوادث ، فكذلك الايمان ، لا بد أن تخضع صلته بالابتلاء الذى يمحصها ، فاما كشف عن طيبها واما كشف عن زيفها ، قال الله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٠ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ٠
(العنكبوت : ٢ ـ ٣)

على هاتين الحقيقتين يقوم الصبر ، ومن اجلهما يطالب الدين به ٠ ولكن الانسان ـ ومن عادته تجاهل الحقائق ـ يدهش للصعاب اذا لاقته ، ويتبرم بالآلام اذا مسته ، ويقوم له من طبعه الهلوع ما يبغض له الصبر ويجعله فى حلقه كريه المذاق ٠ فاذا احرجه الأمر ، أو نزلت به كارثة ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وحاول أن يخرج من حالته بأسرع من لمح البصر ٠ وأولى بالمسلم أن يدرب نفسه على طول الانتظار ٠ قال تعالى : « خلق الانسان من عجل ، سأوريكم آياتى فلا تستعجلون » ٠ (الأنبياء : ٣٧)

وفى الحديث النبوى الكريم : « اذا احب الله قوما ابتلاهم ٠ فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » (رواه الترمذى)

والصبر أنواع : صبر على الطاعة ، وصبر على المعصية ، وصبر على النوازل ٠٠

فأما الصبر على الطاعة فأساسه أن اركان الاسلام تحتاج فى القيام بها والمداومة عليها الى تحمل ومعاناة ٠٠ فالصلاة مثلا ، فريضة متكررة يقوم بها المسلم فى مواعيد محددة ، يقول الله فيها :

● « **وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ..** » . (طه : ١٣٢)

● « **واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين** ».
(البقرة : ٤٥)

والتواصى بالصبر قرين التواصى بالحق ، وقد اقسم الله عز وجل على ان فلاح البشر منوط بهما : « **والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .
(سورة العصر)

والصبر على المعاصى ، هو عنصر المقاومة للمغريات التى تنبت فى طريق الناس وتبين لهم اقتراف المآثم المحظورة . قال عليه الصلاة والسلام : « حفت الحنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .
(رواه مسلم)

والادبار عن الشهوات لا يتأتى الا لصبور ، والصبر هنا اثر اليقين الحاسم والاتجاه الحازم الى ما يرضى الله . قال تعالى : « **.. ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** » .
(الأعراف : ١٢٦)

وهناك الصبر على ما يصيب المؤمن فى نفسه او ماله او اهله او مكانته . وتلك كلها اعراض متوقعة ، وهيهات ان تخلو الحياة منها . على ان المسلم اذا احتمى بالله ولجأ اليه صمد امام الأحداث . ولن تفارق المؤمن رحمة الله ما دام متمسكا بدينه فى الأزمات ، ولا يتزعزع يقينه لدى الشدائد . قال تعالى : « **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** » . (البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧)

* * *

ثامنا ـ الحيـــاء :

الحياء امارة صادقة على طبيعة الانسان ، فهو يكشف عن قيمة ايمانه ومقدار ادبه . وعندما ترى الشخص يتحرج من فعل ما لا ينبغى ، او ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه اذا بدر منه ما لا يليق ، فاعلم انه حى الضمير ، نقى المعدن ، طيب العنصر . واذا رأيت الشخص صفيقا بليد الشعور ، لا يبالى ما يأخذ او يترك ، فهو امرؤ لا خير فيه ، وليس له من الحياء وازع يعصمه من اقتراف الآثام وارتكاب الخطايا .

وقد أوصى الاسلام بالحياء ، وجعل هـذا الخلق السـامى ابرز ما يتميز به المسلم من فضائل . قال رسول الله ﷺ : « ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسـلام الحياء » . (رواه مالك)

وكان النبى ﷺ ارق الناس طبعا ، وانبلهم سـيرة ، واعمقهم شـعورا بالواجب ، ونفورا من الحرام . عن ابى سـعيد الخدرى : « كان رسـول الله اشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا راى شـيئا يكرهه عرفناه فى وجهه » . (متفق عليه)

قال رسول الله ﷺ : « ان الله عز وجل اذا اراد ان يهلك عبدا نزع منـه الحيـاء . فاذا نزع منـه الحياء لم تلقه الا مقيتا ممقتـا (مبغضا) . فاذا لم تلقه الا ممقتا نزعت منه الأمانة . فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا خائنا مخونا ، نزعت منه الرحمة . فاذا نزعت منـه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا . فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنـا نزعت منه ربقة (رباط) الاسلام » (رواه ابن ماجه)

وهذا ترتيب دقيق فى وصفه لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها ، وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة الى اخرى اشد نكرا .. فان الشخص اذا مزق الحجاب عن وجهه ، ولم يتهيب على عمله حسابا ، ولم يخش فى سلوكه لومة لائم ، مد يد الأذى للناس ، وطغى على كل من يقع فى سلطانه . ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلبا يعطف عليه ، بل انه يغرس الضغائن فى القلوب وينميها .

وللحيـاء مواضـع يستحب فيها .. فالحياء فى الكلام يتطلب من المسلم ان يطهر فمه من الفحش ، وان ينزه لسانه عن العيب ، فان من سوء الأدب ان تفلت الألفـاظ البذيئة من المرء غـير عابىء بمواقعهـا وآثارها .

قال رسول الله ﷺ : « الحياء من الايمان والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » (رواه أحمد)

ومن الحياء فى الكلام أن يقتصد المسلم فى تحدثه بالمجالس ، فان بعض الناس لا يستحيون من امتـلاك ناصـية الحديث فى المحافـل والاجتماعات ، فيملأون الأفئدة بالضـجر من طول ما يتحدثون ، وقـد كره الاسلام هذا الصنف من الناس . وسر هذا البغض ان اخبار هؤلاء المتشدقين لا تخلو من المبالغة ، لعلل خلقيـة كان الحياء علاجها الشافى لو انهم استمسكوا به .

ومن الحياء أن يخجل الانسان من أن يؤثر عنه سوء ، وان يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب بعيدة عن الاشاعات السيئة .. فان الرجل الذى يخجل من الظهور برذيلة لا تزال فيه بقية من خير ، والرجل الذى يطلب الظهور بالفضيلة لا تزال فيه بقية من شر . وينبغى على الانسان أن يخجل من نفسه كما يخجل من الناس ، واذا كره أن يراه الناس على نقيصة فليكره ان يرى نفسه على مثلها . ومن ثم كان لزاما على المسلم أن يبتعد عن الدنايا والنقائص ، ما ظهر منها وما بطن ، سواء خلا بنفسه او برز الى الناس .

ان الحياء ملاك الخير ، وهو عنصر النبل فى كل عمل يشـوبه ، قال رسول الله ﷺ : « ما كان الفحش فى شىء الا شـانه ، وما كان الحياء فى شىء الا زانه » . (رواه الترمذى)

ومن حياء الانسان مع الناس أن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم ، وان يؤتى كل ذى فضل فضله . فللغلام مع من يكبرونه ، وللطالب مـع من يعلمونه مسلك يقوم على التأدب والاحترام والتقديم ، فلا يسـوغ

أن يرفع فوقهم صوته ، ولا أن يسبقهم فى خطوه . وفى الحديث :

ـ « تواضعوا لمن تعلمون منه » . (رواه الطبرانى)

ـ « اللهم لا يدركنى زمان لا يتبع فيه العليم ، ولا يستحيا فيه الحليم » . (رواه أحمد)

والحياء فى أسمى منازله وأكرمها يكون من الله عز وجل ، فنحن نطعم من خيره ونتنفس فى جوه ، وندرج على أرضه ، ونستظل بسمائه ، ان حق الله على عباده عظيم ، ولو قدروه حق قدرة لسارعوا الى الخيرات يفعلونها من تلقاء انفسهم ، ولباعدوا عن السيئات خجلا من مقابلة الخير بالجحود .

عن ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : انا نستحى من الله يارسول الله ـ والحمد لله ـ قال : ليس ذلك .. الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى . فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » . (رواه الترمذى)

وهذه العظة تستوعب كثيرا من آداب الاسلام ومناهج الفضيلة .. فان على المسلم تنزيه لسانه أن يخوض فى باطل ، وبصره أن يرمق عورة ، واذنه أن تسترق سرا . وعليه أن يفطم بطنه عن الحرام ، ويقنعها بالطيب الميسور . ثم عليه أن يصرف أوقاته فى العمل الصالح ومرضاة الله ، وايثار ما لديه من ثواب ، فلا تستخفه نزوات العيش ومتعه الخادعة .. فان فعل ذلك عن شعور ويقين بأن الله يرقبه ، ونفور من اقتراف تفريط فى جنب الله ، فقد استحيا من الله حق الحياء .

والحياء بهذا الشمول هو الدين الخالص كله ، فاذا أطلق على طائفة من الأعمال الجميلة فهو جزء من الايمان .

* * *

تاسعا ـ الاخاء :

ليست هناك دواعى معقولة تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتا متناكرين ، بل ان الدواعى على المنطق الحق والعاطفة السليمة تعطف البشر بعضهم على البعض الآخر ، وتمهد لهم مجتمعا متكافلا تسوده المحبة ، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض . والله عز وجل رد أسباب الناس وأجناسهم الى أبوين اثنين ، ليجعل من هذه الرحم الماسة ملتقى تتشابك عنده الصلات وتستوثق . قال تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** » . (الحجرات : ١٣)

فالتعارف ـ لا التنافر ـ أساس العلاقات بين البشر . وكل رابطة توطد هذا التعارف وتزيح من طريقه العوائق فهى رابطة يجب تدعيمها ، والانتفاع بخصائصها . وليس الاسلام مجرد رابطة تجمع بين عدد من الناس فحسب ، ولكنه جملة الحقائق التى تقر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ، ثم بين الناس أجمعين . ان الأثرة (الأنانية) آفة الانسان ، اذا سيطرت نزعتها على شخص محقت خيره ونمت شره ، وحصرته فى نطاق ضيق لا يعرف فيه الا شخصه ، ويصبح متمركزا حول ذاته ، ولا يهمه شىء من شئون الآخرين . وقد حارب الاسلام هذه الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة ، وافهم الانسان أن الحياة ليست له وحده ، وانها لا تصلح به وحده . فليعلم أن هناك أناسا مثله ، ان ذكر حقه عليهم ومصلحته عندهم فليذكر حقوقهم عليه ومصالحهم عنده . ان هذه التذكر يخلع المرء من أثرته ، ويحمله على الشعور بغيره حين يشعر بنفسه .

ومن حق أخيك عليك أن تكره ضرره ، وأن تبادر الى دفعه عنه ، فان مسه أذى شاركته الألم ، وأحسست معه بالحزن . قال رسول الله ﷺ :

ـ « مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد

الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .
(رواه البخارى)

ـ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه . من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .
(رواه البخارى ومسلم)

ـ « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى » . (رواه مسلم)

ـ « من استعاذ منكم بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أن قد كافأتموه » .
(رواه أحمد ، وأبو داوود ، والنسائى)

ـ « حق الجار ان مرض عدته ، وان مات شيعته ، وان افتقر أقرضته ، وان أعوز سترته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ، ولا تؤذيه بريح قدرك الا أن تغرف له منها » . (رواه الطبرانى)

ـ « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .
(متفق عليه)

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن اخوانه ظهير له فى السراء والضراء وأنه لا يتحرك وحده فى خضم الحياة ، بل ان قوى المؤمنين تسانده وتشد أزره فى مسيرته . ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة ، فهى نعمة التجانس الروحى والمادى معا . قال تعالى : **« .. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا .. »** . (آل عمران : ١٠٣)

ورهب الاسلام من يلعب بهم الشيطان ويغريهم بالتطاول على

اخوانهم طلبا للاستعلاء فى الأرض ، فبين أن هؤلاء المتطاولين سوف يتضاءلون يوم القيامة ، وعلى قدر ما انتفخوا ينكمشون حتى يصيروا هباء . وفى الحديث : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور رجال يغشاهم الذل من كل مكان » . (رواه الترمذى)

وقال تعالى : « **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** » . (غافر : ٦٠)

● « **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض** » .
(الأعراف : ١٤٦)

● « **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين** » . (الأعراف : ١٣)

وقال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : العز ازارى ، والكبرياء ردائى ، فمن ينازعنى عذبته » . (رواه مسلم)

ومما يمزق أواصر الأخوة : التهكم والازدراء والسخرية من الآخرين . ان هذه الأخلاق تنشأ عن جهالة وغفلة . فان من حق الضعيف أن يجد المساندة دون النيل منه ، ومن حق الحائر القلق الملهوف ان يرشد الى الطريق القويم لا التهكم عليه . واذا وجدت بشخص عاهة أو عرضت له سيئة فآخر ما يتوقع من أخيه المسلم أن يجعل ذلك مثار تندره واستهزائه . قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن** .. » . (الحجرات : ١١)

ومما اتخذه الاسلام لصيانة الأخوة ومحو الفروق المصطنعة ، توكيد التكافؤ فى الدم والتساوى فى الحق ، وأشعار العامة والخاصة بأن التفاخر بالأنساب باطل . فلا يفضل أحد أخاه فى الاسلام الا بالتقوى والعمل الصالح . قال رسول الله ﷺ : « اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا انى جعلت نسبا ، وجعلتم نسبا . فجعلت أكرمكم

اتقاكم ، فأبيتم الا ان تقولوا : فلان ابن فلان • فاليوم أرفع نسبى واضع انسابكم » •   (رواه البيهقى)

وهذا تأكيد لقوله تعالى :

« فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون » •

(المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣)

* * *

عاشرا ـ الاتحاد والتعاون :

تقوم شرائع الاسلام وآدابه على اعتبار الفرد جزءا لا يتجزأ ولا ينفصم من كيان الأمة ، وعضوا موصولا بجسمها لا ينفك عنها ، فهو ـ طوعا أو كرها ـ يأخذ نصيبه مما يتوزع على الجسم كله من غذاء ونمو وشعور • وقد جاء الخطاب الالهى مقرا هذا الوضع ، فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهى ، انما تناول الجماعة كلها بالتأديب والارشاد • قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • وجاهدوا فى الله حق جهاده •• » •**

(الحج ٧٧ ـ ٧٨)

فاذا وقف المسلم بين يدى ربه ليتضرع اليه ويناجيه ، لم تجز العبادة على لسانه كعبد منفصل عن اخوانه ، بل كطرف من مجموع متسق مرتبط يقول : **« اياك نعبد واياك نستعين » •**   (الفاتحة : ٥)

ثم يسال الله من خيره وهداه ، فلا يختص نفسه بالدعاء ، بل يطلب رحمة الله له ولغيره ، فيقول : **« اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم » •**   (الفاتحة : ٦ ـ ٧)

ان الله عز وجل لم يخلق الناس لينقسموا ويختلفوا •• لقد شرع

لهم دينا واحـدا ، وأرسل أنبياء تترى ليقودوا الناس كافة فى طريق واحد ، وحرم عليهم من الأزل أن يصدعوا الدين وأن يتفرقوا حوله ٠

بيد أن الناس فى غمره الحياة واتباع الشهوات تناسوا هذه الوصية الكريمة ، وتنكروا لهذا التراث العظيم ، فانقسم الناس أحزابا ، وصار كل حزب يكيد للآخر ويتربص به ٠ قال تعالى : « **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم ٠ وان هـذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ٠ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ٠ فذرهم فى غمرتهم حتى حين** » ٠ (المؤمنون : ٥١ ـ ٥٤)

وبين الله عز وجل أن اتباع الهوى ومتابعة البغى هو سر هـذا الافتراق الواسع ٠٠ والحق أن العلم عندما ينفصل عن الخلق ، ويفارقـه الاخـلاص ، يمسى وبالا على أهله وعلى الناس ٠ وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع ٠٠

وقال تعـالى : « **وما تفرقوا الا من بعـد ما جاءهم العـلم بغيـا بينهم ٠٠** » ٠ (الشورى : ١٤)

فالنظر الى ضراوة العلم عندما يفقد الاخلاص لله والرفق بالعباد ، كيف يثير الفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ٠٠ ان اختلاف الأفهام وتضارب الآراء ليس بمستغرب فى الحيـاة ، ولكن ليس هـذا سـبب التقاطع والشقاق ٠ انما يعود سبب الشقاق الى اسهام عوامل أخـرى وانضمامها ، تستغل تباين الأفطار والآراء للتنفيس عن أهواء باطنـة ٠ ومن ثم ينقلب البحث عن الحقيقة الى ضرب من العناد لا صلة له بالعلم البتة ٠ ولمـا كان هـذا الاختلاف المريب مفسدا لدين الله ودنيا الناس فقد اعتبره الاسـلام انفصالا عنه ٠ قال تعالى فى كتابه الكريم محذرا المسلمين من الخلاف فى الدين والتفرق فى فهمه شـيعا متناحرة كمـا فعل الأولون :

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم • يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ، هم فيها خالدون » •

(آل عمران : ١٠٥ ـ ١٠٧)

ان ائتلاف القلوب والمشاعر ، واتحاد الغايات والمناهج ، من أوضح تعاليم الاسلام ، والزم صفات المسلمين المخلصين • ولا ريب ان توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ، ودوام دولتها ، ونجاح رسالتها • ولئن كانت كلمة التوحيد باب الاسلام ، فان توحيد الكلمة سر البقاء فيه ، والابقاء على رسالته ، والضمان الأول للقاء الله سبحانه وتعالى بوجه مشرق وصفحة نقية •

ولكى يمتزج المسلم بالمجتمع الذى يحيا فيه شرع الله الجماعة للصلوات اليومية ورغب فى حضورها وتكثير الخطو اليها ، ثم الزم أهل الحى أو العشيرة أن يلتقوا كل أسبوع لصلاة الجمعة • وبعد هذا دعا الى اجتماع أكبر فى صلاة العيد جعل مكانه الأرض الفضاء خارج البلدة ، وأمر الرجال والنساء بالمشاركة فيه اتماما للنفع وزيادة فى الخير •• ثم أذن الى حشد أضخم يضم الشتات من المشرق الى المغرب • ففرض الحج ، وجعل له مكانا معلوما وزمانا محدودا ، حتى يجعل اللقاء بين أجناس المسلمين أمرا محتوما •

وكان رسول الله ﷺ شديد التحذير من عواقب الاعتزال والفرقة ، وكان فى حله وترحاله يوصى بالتجمع والاتحاد ، قال عليه الصلاة والسلام :

ـ « الشيطان يهم بالواحد والاثنين ، فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم » .
(رواه مالك)

ـ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .
(رواه البخارى ومسلم)

وقال تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم** » .

(التوبة : ٧١)

ان الناس اذا لم يجمعهم الحق شعبهم وشتتهم الباطل ، واذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان ، واذا لم يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا . لذلك كان التطاحن المر من خصائص الجاهلية المظلمة وصفة من لا ايمان لهم . قال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض » .

(رواه الترمذى)

ان الشقاق يضعف الأمم القوية ، ويميت الأمم الضعيفة ، ولذلك جعل الله اول عظة للمسلمين ـ بعد انتصارهم فى غزوة « بدر » ـ ان يوحدوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم . ولما تطلعت النفوس للغنائم ، تشتهى حظها وتتنافس على اقتسامها نزل قوله تعالى : « **يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين** » . (الأنفال : ١)

ثم افهمهم أن الاتحاد فى العمل لله هو طريق النصر المحقق .

قال تعالى : « **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ..** » . (الأنفال : ٤٦)

وحذرهم من ان يسلكوا فى التكالب على الدنيا مسلك الذين لا يرجون عند الله ثوابا ، فقال تعالى : « **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط** » . (الأنفال : ٤٧)

ثم تلقى المسلمون فى « احد » لطمة موجعة افقدتهم عددا لا يستهان

به من أبطالهم ، وردتهم الى المدينة وهم يعانون الأمرين من خزى الهزيمة وشماتة الكافرين . ولم ذلك ؟ مع أن أيمانهم لم يتزعزع .. ذلك لأنهم تنازعوا وانقسموا وعصوا أمر الله ورسوله . قال تعالى : « **ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ..** » . (آل عمران : ١٥٢)

وكان ذلك يعود الى انحلال عرى المسلمين وتفرقهم .

* * *

وبعـد ..

لقد ناقشـنا المنهاج الأخلاقى فى الاسـلام الذى يحث على حسـن المعاملة ، وموقف الانسان من الخير والشر ، ثم انتقلنا الى القيم والأخلاق فى المعاملة .

ـ فأدب الحديث يحث المسلم أن يعود لسـانه الجميل من القول واللفظ العفيف حتى يحفظ مودة الأصدقاء وينتصر على الأعداء ويكسر حدتهم . فعلينـا أن نستمسك بأداب الحديث فى تعاملنا بعضنا مـع البعض الآخر وأن نمسك عن بذىء اللفظ ، فالكلمة الطيبة صدقة .

ـ والاسلام دين سمح ، يشجع على العفو والصفح والاعراض عن الجاهلين ، أى التسامح ، فبالتسامح والحلم تدوم الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم ، كما أن الرحمة تجعلنا نرق لآلام الآخرين ونقدر ظروفهم .. فالعفو من شيم الكرام .

ـ ومن الناس من يثور ويفقد اتزانه لأتفه الأسباب ، والاسلام يحثنا على التمسك بالحلم وضبط النفس ، وألا يعصف الغضب بنفوسـنا فنقدم على أعمال لا تحمد عقباها ونندم عليها فيما بعد . وعلى قدر ما نضبط أنفسـنا ، ونكظم غيظنا ، ونسيطر على أقوالنـا وأفعالنـا ، ونتجاوز عن هفوات غيرنا ، ونرثى لعثراتهم ، نكون منزلتنا عند الله والناس .

ـ والعدل اساس الملك .. ان العدالة فى الاقوال والأفعال مطلوبة فى كل مكان وزمان . ولقد قرر الاسلام مبدأ المساواة الانسانية ، بمعنى انه لا فضل لشخص على آخر الا بالعمل الصالح . ومراعاة تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع ، فلا تحيز ولا تحامل ، والكل سواء ، فلا وساطة ولا قرابة ولا صداقة تبيح أن نهدر حق شخص كى نجامل آخر .

ـ ان الصدق فضيلة ، والكذب رذيلة .. فالتمسك بالصدق فى كل شأن ، وتحريه فى كل قول وفعل ، والالتجاء اليه فى كل حكم ، دعامة أساسية فى خلق المسلم . وعلينا أن نتحرى الصدق دائما ، والا نلجأ الى الكذب لتبرير أخطائنا . وقد يلجأ بعض الناس الى الكذب للمزاح والتفكه على الآخرين والترويح عن النفس ، ولكن الاسلام لا يرضى هذا الأسلوب فى استخدام الكذب ، حيث ان اللهو بالكذب كثيرا ما ينتهى الى العداوات .

ـ على كل فرد منا أن يحترم كلمته ووعوده ، مما يستلزم قوة الذاكرة وقوة العزيمة . وعلينا أن نذكر ماضينا ، حتى ننتفع به فى حاضرنا ومستقبلنا . ان اخلاص النية والقلب والضمير للخالق سبحانه وتعالى ترتفع بمنزلة العمل الدنيوى ، فتجعله فى مرتبة العبادة .

ـ الصبر مفتاح الفرج .. فعلينا أن نوطد أنفسنا على احتمال المكاره دون ضجر ، وانتظار النتائج مهما بعدت ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، دون شك أو ريبة أن بعد العسر يسرا ، والصبر عند المعاصى والادبار عند الشهوات لا يتأتى الا لصبور .

ـ لقد أوصى الاسلام بالحياء ، وجعل هذا الخلق السامى من ابرز ما يتميز به المسلم من فضائل .. وينبغى اتباع الحياء فى الكلام ، ومراعاة الاقتصاد فى الحديث بالمجالس والاجتماعات ، فالأفضل الا يكون الحديث فى غير موضعه ، ومراعاة استخدام الألفاظ السليمة دون بذاءة أو فحش أو سباب ، مع توخى الدقة فى اختيار الكلمات المناسبة للموقف ، فلكل مجال مقال ، واحترام ذوى المكانة والفضل والأكبر سنا ،

وفوق كل هـذا : الحياء من الله سبحانه وتعالى ، خالق كل شيء ـ فانه سبحانه ـ قد أسبغ علينا نعمة الحياة ورزقنا من فضله .

ـ المرء قليل بنفسه كثير باخوانه .. والانسـان كائن اجتماعى لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الآخرين . فالشعور بالانتماء يشكل احدى الحاجات الأساسية للانسان .. فهو منذ نشأته ينتمى الى الأبوين ، والى الأخوين ، والى الأسرة ، والى رفاق الدراسة ، والى رفاق العمل ، والى المجتمع بوجه عام . فالاخاء اساس العلاقات بين البشر ، والأثرة تميت القلوب وتبلد الشعور الانسانى ، وتجعل من الشخص عبدا لنواته واهوائه .

ـ واخيرا وليس آخرا ، فالاتحاد قوة .. فائتلاف القلوب والمشاعر ، واتحاد الغايات والمناهج من الزم صفات المسلمين . واجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف من اهم الضرورات لقوة المجتمع واستمراره وصموده أمام أعدائه(٨) .

* * *

(٨) سيد عبد الحميد مرسى : **الدين المعاملة** . جدة : ادارة تدريب **التسويق** ، الخطوط الجوية العربية السعودية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٩ ـ ٣٠